الصحابه كما قال ابو سعيد الخدري وكان ابو بكر اعلمنا به يعني النبي صلى الله عليه وسلم
فجمع له بين سعة العلم والرحمة وهكذا الرجل كلما اتسع علمه اتسعت رحمته وقد
وسع ربنا كل شيء رحمة وعلما فوسعت رحمته كل شيء واحاط بكل شيء علما فهو ارحم
بعباده من الوالدة بولدها بل هو ارحم بالعبد من نفسه كما هو اعلم بمصلحة العبد
من نفسه والعبد لجهله بمصالح نفسه وظلمه لها يسعى فيما يضرها ويفوتها وينقص حظها
من كرامته وثوابه ويبعدها من قربه وهو يظن انه ينفعها ويكرمها وهذا غاية
الظلم والجهل والانسان ظلوم جهول فكم من مكرم لنفسه بزعمه وهو لها مهين ومرفه
لها وهو لها معذب ومعطيها بعض غرضها ولذاتها وقد حال بينها وبين جميع لذاتها
فلا علم لها بمصالحها التي هي مصالحها ولا رحمة عنده لها فما يبلغ عدوه منه ما يبلغ هو من
نفسه قد بخسها حظها واضاع حقها وعطل مصالحها وباع نعيمها الباقي ولذتها
الدائمة الكاملة بلذة فانية مشوبة بالنغص انما هي كاضغاث احلام او كطيف زار
في المنام وليس هذا بعجيب من شانه وقد فقد نصيبه من الهدى والرحمة فلو هدي و
رحم لكان شانه غير هذا الشان ولكن الرب كما اعلم بالمحل الذي يصلح
للهدى والرحمة فهو الذي يؤتيها للعبد كما قال عن عبده فوجدا عبدا من عبادنا
اتيناه رحمة من عندنا وعلمناه من لدنا علما ربنا اتنا من لدنك رحمة وهيء لنا من
امرنا رشدا فصل ومما ينبغي ان يعلم ان الرحمة صفة تقتضي ايصال المنا
فع والمصالح الى العبد وان كرهتها نفسه وشقت عليها فهذه هي الرحمة الحقيقية فار
حم الناس بك من شق عليك في ايصال مصالحك ودفع المضار عنك فمن رحمة الاب ولده
ان يكرهه على التاديب بالعلم والعمل ويشق عليه في ذلك بالضرب وغيره ويمنعه
شهواته التي تعود بضرره وموته اهمال ذلك من ولده كان لقلة رحمته به وان ظن انه يرحمه
ويرفهه وهو يريحه فهذه رحمة مقرونة بجهل كرحمة الام ولهذا كان من تمام رحمة
ارحم الراحمين تسليط انواع البلاء على العبد فانه اعلم بمصلحته فابتلاؤه له وامتحانه
ومنعه من كثير من اغراضه وشهواته من رحمته به ولكن العبد لجهله وظلمه يتهم ربه
ولا يعلم احسانه اليه وابتلائه وامتحانه وقد جاء في اثر ان المبتلى اذا دعي لم اكن ارحم
ارحمه يفعل الله كيف ارحم من شيء به ارحم وفي اثر اخر ان الله اذا احب عبدا حماه
الدنيا وطيباتها وشهواتها كما يحمي احدكم مريضه فهذا من تمام رحمته به لان تخلية عليه

كيف

كيف وهو الجواد الماجد الذي له الجود كله وجود جميع الخلائق في جنب جوده اقل من
ذرة في جبال الدنيا وما لها فمن رحمته سبحانه بعباده ابتلاؤهم بالاوامر والنواهي رحمة
وحمية لا لحاجة منه اليهم بما امرهم به فهو الغني الحميد ولا بخلا منه عليهم بما نهاهم عنه
فهو الجواد الكريم ومن رحمته ان نغص عليهم الدنيا وكدرها لئلا يسكنوا اليها و
لا يطمئنوا اليها ويرغبوا في النعيم المقيم في داره وجواره فساقهم الى ذلك بسياط
الابتلاء والامتحان فمنعهم ليعطيهم وابتلاهم ليعافيهم واماتهم ليحييهم ومن رحمته
بهم ان حذرهم نفسه لئلا يغتروا به فيعاملوه بما لا تحسن معاملته به كما قال
تعالى ويحذركم الله نفسه والله رؤوف بالعباد قال غير واحد من السلف من رافة بالعباد
حذرهم من نفسه لئلا يغتروا به فصل ولما كان تمام النعمة على العبد
انما هو بالهدى والرحمة كان لها ضدان الضلال والغضب فامرنا الله ان نسأله كل يوم
وليلة مرات عديدة ان يهدينا صراط الذين انعم عليهم وهم اولوا الهدى والرحمة و
يجنبنا طريق المغضوب عليهم ضد المرحومين وطريق الضالين ضد المهتدين
ولهذا كان هذا الدعاء من اجمع الدعاء وافضله واوجبه وبالله التوفيق فصل
اذا كان كل عمل فاصله المحبة والارادة والمقصود به التنعم بالمراد والمحبوب فكل حي
انما يعمل لما فيه تنعمه ولذته فالتنعم هو المقصود الاول من كل قصد وكل حركة كما ان
العذاب والتالم هو المكروه اولا بكل بغض وكل امتناع وكيف لكن وقع الجهل والظلم
من بني ادم بحيثيين بالدنيا الفاسدة والدنيا الفاجرة طلبوا بها التنعم وفي الحقيقة
فانما فيها صدته فاتهم النعيم من حيث طلبوه وآثروه ووقعوا في الالم والعذاب
من حيث هربوا منه وبيان ذلك ان الاعمال التي يعملها جميع بني ادم اما ان يتخذوها
دنيا ام لا يتخذوها دنيا والذين اتخذوها دنيا اما ان يكون الدين بها دين حق و
اما ان يكون دينا باطلا فنقول النعيم التام هو في الدين الحق علما وعملا فاهله
هم اصحاب النعيم الكامل كما اخبر الله بذلك في كتابه في غير موضع كقوله اهدنا
الصراط المستقيم صراط الذين انعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين وقوله
عن المتقين المهتدين بالكتاب انه ليكد على هدى من ربهم واولئك هم المفلحون وقوله
فاما ياتينكم مني هدى فمن تبع هداي فلا يضل ولا يشقى وقوله في الاية الاخرى
فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون وقوله ان الابرار لفي نعيم

Copyright King Saud University